

ذكرى شكسبير

أحمد زكي أبو شادي

ذكرى شكسبير

ذكرى شكسبير

تأليف
أحمد زكي أبو شادي



ذكرى شكسبير

أحمد زكي أبو شادي

رقم إيداع ٢٠١٣/٧٢٧٩
تدمك: ٢ ٢٦٨ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

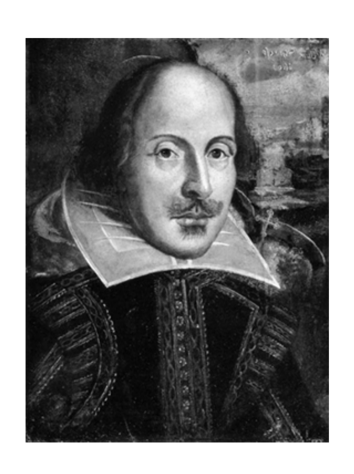
إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: إسلام الشيمي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2013 Hindawi Foundation for Education and Culture.
All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات



شكسبير (١٥٦٤–١٦١٦)

وُلدت ولكن بملك (الأثير) وزرت (بني الأرض) ترجو اعتبارا
فأعطيتهم كل ما قد خبرت وما ازددت أنت العليم اختبارا!
فأنت بمولدك العالمي ومنه انتقلت إلينا انتشارا!
ومن ظن كم كوكب في الفضاء حوى من نبوغك فيه ازدهارا؟!

تَوطِئَةٌ

بقلم أحمد زكي أبو شادي

تتضمن هذه المجموعةُ الشعريةُ منظومات قرضتها تلبيةً لدعوة (جمعية الشعر Poetry Society) بمدينة لندن لمناسبة فتح (مَمْثَل شكسبير التذكاري Shakespeare Memorial Theatre) بعد تجديده على إثر الاحتراق الذي نكب به حديثًا، وهي دعوة عامة إلى شعراء جميع الأمم الذين يقدرون مزايا شكسبير وآثاره الخالدة ويفهمون حق الفهم شخصيته العظيمة وأدبه الرائع المثقف. وقد اختير يوم ٢٣ أبريل سنة ١٩٢٧ (وهو ذكرى ميلاد شكسبير) يومًا بل عيدًا للاحتفال المرموق.

وما أقدمتُ على نظمها إلَّا مدفوعًا بعاملين قويين: أولهما؛ إكباري لهذا العبقري العظيم الذي رفع رأس الإنسانية بنبوغه الفخم وعقله الجبار. وثانيهما؛ دافع الاشتراك في واجب قومي نحو هذا المثل العالي للإنسان العظيم — ذلك الواجب الذي يجب أن يُوزَّع على جميع الأمم المتحضرة، وأن لا يتخلَّى عنه أدباءُ أيِّ شعبٍ مثقَّفٍ، فإجلالًا لذكرى هذا الشاعر الممثِّل الحكيم، وبرًا بسمعة وطني الأدبية التي ضرب لنا صاحبُ الجلالة (الملك فؤاد الأول) المثلَ الصالحَ في الغيرة عليها بتبرعه السخيِّ (لمَمْثَل شكسبير)؛ نظمتُ هذه المنظومات الثلاث وإن تكن جهدَ المُقلِّ، وحسبي بأداء الواجب ولذتي النفسية ما فيه الرضى لشعري ووجداني.

هذا وتبعًا لاقتراح (جمعية الشعر Poetry Society) نظمتُ هذه المنظومات:

(١) سونيتةً[١] أو أنشودةً على مثال شكسبير.

(٢) رباعيةً مناسبةً للكتابة على جدران المَمْثَل.
(٣) قصيدةً عامةً غير مقيدةٍ بوضع أو حجم.

وقمتُ بطبعها طبعة خاصةً تسهيلًا لمطالعتها، على أن لا تُذاعَ بين جمهور المتأدِّبين إلا بعد الفراغ من النظر فيها بلندن كما تقضي بذلك الكياسةُ والواجبُ الأدبي المألوف، واقتصرتُ على شروح قليلة لفائدة القارئ العربي الذي لا يعرف اللغةَ الإنكليزية ففاته الاطِّلَاع على أدب شكسبير، وإن كانت لقصص شكسبير المترجمةِ منزلةٌ رفيعةٌ بين محبي الأدب في مصر على تباين معارفهم؛ إذْ يندر بينهم مَنْ لم يطلع على شيء من آثاره الأصيلة أو المترجمة، وأخصُّ بالذكر ترجمة الشاعر المشهور خليل بك مطران لأهم قصص شكسبير ترجمةً، هي آيةٌ في البلاغة والإتقان.

بورسعيد في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٦

هوامش

(١) «السونيتة» هي قصيدة غنائية أو أنشودة على النسق الأوربي في أربعة عشر بيتًا، ويقال: إن من ابتدع هذا التأليف الشعري هو جيدو داريزو في القرن الحادي عشر للميلاد، وقد أبدع فيه شكسبير وملتن ووردزورت وكيتس على الأخص.

السُّونِيتَةُ

تُحيِّيكَ قبل تحايا (الربيع)[١] نفوسٌ تحنُّ إليكَ المَدى
وأنت المرحِّبُ مثل السميع إلى (عالَمٍ) من سناك اهتدى!
رسمتَ له (الكونَ) رسم اليقين بمرآةِ شِعرك يا فاتنُ
فكنتَ المُدِينَ لنفع المَدِين كما ينقذُ المُجْدِبَ الهاتنُ
فعفوًا إذا أقلقتك التحايا وصَفحًا إذا صاحبتكَ الأماني
فأنت الذي قد منحتَ البرايا غذاءَ المواهبِ في كلِّ آنِ!
فمن حقك الصَّفوِ[٢] هذا الوفاءُ ومن حقهم كل هذا الخشوعْ
فأنت (النبيُّ)[٣] وما الأنبياء بإحسانهم غير نفحٍ يضوعْ
فيجتذب الخلقَ من كلِّ فجٍّ كما يمنحُ الخلقَ عطرَ الخلودِ
فلا بدع إنْ أقبلوا رُسلَ حَجٍّ إلى فيلسوف المُنى والوجودِ!
وكم قد بكيتَ وكم قد ضحكتَ، بتمثيلكَ المستعزِّ الحقيقي
فأبكيتهم مثلما قد منحَت من الأنس في مُوحشات الطريق!
فيا (شكسبير) تأمَّلْ قريرًا وفاءَ القرون البواكي الخوالي
تجدْ حولكَ اليوم جيلًا كبيرًا يجدِّد عهدَ القرونِ التوالي!

هوامش

(١) إشارة إلى فصل إقامة الحفلة التذكارية لشكسبير (وتاريخها ٢٣ أبريل سنة ١٩٢٧)، فضلًا عن المعنى الشعري العام.

(٢) الصفو: الخالص.

(٣) أي نبي الشعر.

الرُّبَاعِيَّةُ

وافتْ إليكَ أميرَ الشعر خاشعةً
شتى العقول تناجي نورَك الهادي!
فإنما (المَمْثَل)[1] الباقي بحرقته
من رُوحِك الفذِّ إبداعٌ لآبادِ!
انظرْ إذن تلقَ آلافًا مجمعة
ما بين حاضر أرواحٍ وأجسادِ![2]
تُصغي إلى الحكمةِ الكبرى مؤلِّهة
فيك النبوغَ فتلقى حظَّ عُبَّادِ!

هوامش

(١) المَمْثَل: Theatre. وفي كلمة (الباقي) إشارة إلى دوامه رغم الحريق الذي نكب به. والحرقة: الحرارة.

(٢) إشارة إلى آلاف المعجبين بشكسبير في أنحاء العالم الذي يحجون إلى مَمْثَله التذكاري بأرواحهم، وبعضهم بأشخاصهم أيضًا.

القَصِيدَة

(١) عبقريته

شأَوْتَ[١] العلى وملكتَ الفخارَا	فماذا يُفيدُكَ مَدْحِي مرارًا؟!
وكيف أحدِّث عنكَ النُفوسَ	وأنتَ الذي قد رفعتَ الستارَا[٢]
فكنتَ لها قَبسًا من جَلالٍ	وكانت لعقلكَ بَحثًا مُنارًا! [٣]
وما زلتَ تنفحُ أذكى الفهومِ	وما زلتَ ترمقُ فيها الفخارَا![٤]
وكرَّتْ سِنونٌ ومرَّتْ قُرونٌ	وما زال نفحكَ فَضلًا مُعارًا[٥]
فما كان تكريمُنا ردَّ دَينٍ	إذا ما رَدَدْنا الدُّيُونَ الكبارَا!
وما الشمسُ مهما أطلنا الثناءَ	بنائلةٍ بالثناءِ اشتهارَا!
نجِلُّ حرارتَها والضياءَ	وهيهاتَ نُرْجِع نُورًا ونارًا!
كذلك أنتَ الغنيُّ الأبيُّ	فأصبحت للشمسِ خِلًّا وجارًا!
مُحال لقدرِكما في وفاءٍ	وَفاءٌ يُعيدُ الحقوقَ الكِثارَا!

* * *

وأرَّخكَ العالِمون الثقاةُ	وجاءوا وُفودًا تزفُّ ادِّكارَا
وقالوا وُلِدْت بأرض (الأفون)[٦]	فصرتَ لأهليه دَوْمًا شِعارَا
إذا انتسبوا فلك الانتسابُ	وإن فخروا فلك الفخرُ سارَا
فقلتُ: أجلْ، إنما أنت فيهم	قرينُ (المسيحِ) تجلَّى وطارَا
وقد وهبَ الناسَ من رُوحهِ	وقد بذل التضحياتِ الغِزَارَا

فـمـا كـلُّ آثـارِك الـخـالـداتِ سـوى إرثِ عـمـرك لـمـا تـوارَى
وإنْ كنتَ معنىً لغير الفناء وإن كنتَ فكرًا جليلًا مُثارًا[٧]
وُلِدْتَ ولـكـن بـمـلـك (الأثـيـر) وزُرْتَ (بني الأرض) ترجو اعتبارًا
فأعطيتهم كلَّ ما قد خبرت وما ازددت أنت العليمُ اختبارًا!
فـأنـتَ بـمـولـدكَ الـعـالـمـيُّ ومنـه انتقلتَ إلينا انتشارًا!
ومَنْ ظنَّ كم كوكبٍ في الفضاء حوى من نبوغِك فيه ازدهارًا؟!
فـإنَّ الـحـيـاة كـموج الـضـيـاء تشقُّ الفضاء وتطوي البحارًا!
ولـن يـعـلـمَ الـنـاسُ ما أصلُـها أكانتْ حجىً في العُلَى أم غبارًا!
ولـكنْ لـعـقـلك إنـي الـضـمـينُ فـقـد كـان كـالـنور حَيًّا وزارًا!
فـمـا لـوَّثـتْـه ذُنـوبُ الأنـام ولا كـان إلا الـسَّـنَـا والأُوارًا![٨]
أشـعَّـتُـهُ عـمـرُهُـا كـالـزَّمـان تبثُّ الرجاءَ وتُقصي البوارًا![٩]
وتُـهـدي حـرَارَتُـهـا لـلـنُّـفـوس وُجُـودًا جـديـدًا وكـوْنًـا مُـدَارًا[١٠]
فيا لِلغنى في الذي قد بذَلْتَ سخيًّا كأنك تَرْمي النضارًا![١١]
فمن لم يرَ القدُسِيَّ البهيَّ بـبـذلـك لـم يـلْـقَ إلا اغـتـرارًا
ومَـنْ قـال إنـك رهـنٌ لأرضٍ فـمـا قـال حـقًّـا ومـا عزَّ[١٢] دارًا
فـإنـك فـوق أمـانـي الـغُـرُور كـذا الـعـبـقـريـةُ تـأبـى الإسـارًا
لـهـا وَطنٌ في الرَّحيبِ الوجودِ وإنْ عشقتْ في هوَانا المزارًا!

* * *

فـيـا عَـلـمًـا فـي كـبـارِ الـرِّجـالِ هديتَ الكبارَ وسُستَ الصغارًا[١٣]
قـدَرْنـاك لا كـوكـبًـا مـغـربـيًّـا فحسبُ، ولكنْ قدَرْنا النهارًا!
بـــأنــــواره وبــــآلائــــهِ يسرُّ العفاةَ[١٤] ويَهدي الحيارى
ومـا الـفـردُ فـي ذاتـه بـالـقـلـيـل إذا صاحب الفضلُ فيه الوقارًا[١٥]
فـإنْ قـيـل فـردٌ وإنْ قـيـلَ نـجـمٌ سـواء لـمـن نـالَ مـنـك الـيـسـارًا
وَحسبُ الحقيقةِ وَصفُ اليقين إذا ما اقتصرنا عليه اقتصارًا
فـنـتـرك أصـلـك لـلـفـلـسـفـاتِ ونـسـتـعـرضُ الأدبَ الـمـسـتـشـارًا
ونـفـخـر بـالأرضِ بـيـن الـرُّجـوم وإنْ كنتَ مجدًا لنا مستعارًا!

(٢) تفننه ونمطه

بك ائتمَّ جيلٌ، فجيلٌ، وجيلٌ   ولا غروَ إن عشتَ دهرًا إمامَا
فقد كنتُ تفحصُ فحْصَ الخبيرِ   وتبعثُ حُكمًا يُبيدُ الظلامَا
خلاصتهُ تجرباتُ الحياةِ   وقوتهُ أن يدومَ احتكامَا
كأنك فرقانُ دين جديد   فصان الفضائلَ صونًا وحامَى
ووحَّد أديانَنا في اعتقاد   بإعجازه، وهَدَى مَنْ تعامَى
فحدَّثنا عن معاني الوجود   فما قال زُورًا ولا نال ذاما
ومثَّل ما شاء إبداعهُ   صُنوفَ الورى والمنىَ والحُطاما[١٦]
فمن فاجعاتٍ تذيبُ الحديدَ   إلى مضحكاتٍ سقين المداما
ومن حادثاتٍ هدَمْنَ الغرامَ   إلى محسناتٍ بَنينَ الغراما
ومِنْ نُخبِ الوصفِ في شعرهِ   وَهبنَ الشعورَ السليمَ السلاما
جعلتَ البيانَ لأُذنِ السميع   ظُهورًا كرسمٍ تجلى ودامَا
وأغنيتَ[١٧] أيضًا بتمثيلهِ   وإنْ كنت أغنيتَ عنه[١٨] الأنامَا!
وما حاجةُ الناس من مَمْثَل   وهذي سطورك قامت قيامَا؟!
إذا ما قرأنا أناشيدَها   رأينا المعاني ازدحمنَ ازدحامَا
ومرَّتْ فصولٌ بألبابنا   مَشَاهدَكم منحتنا اغتنامَا
فسُحنا بها في الوجود الفسيح   زمانًا كريمًا، وعُدنا كرَامَا
ومِنْ عَجبٍ أن تركتَ العقولَ   حَيارَى تُناجي المعاني الجسامَا
ترى ألفَ وَصْفٍ بلا مُرشِدٍ   إلى ما اعتقدتَ وما قد تسامَى[١٩]
كأنك أشفقتَ مِن صَدْمها   برأيك فاخترت هذا الغمامَا!
وحجَّبتَ مرآةَ روح تسامتْ   فحيرَتِ الناسَ حتى العظاَما
وإنْ وَهبتْنا سخيَّ الشعاعِ   وأحيتْ رجاءً وردَّت أُواما
فبينا نخالك ربَّ ابتسامٍ   إذا بالتبسم ليس ابتساما!
عويص المعاني بعيدُ الأماني   ومقتسمٌ للذكاء اقتساما!
فعندك من كلِّ نوع نصيبٌ   وفيك الفراسةُ تلقى اعتصاما!
وتحيا بآثارك الخالداتِ   نُفوسًا وخُلقًا ولهوًا وجامَا!

(٣) آثاره

نشأتَ بعصر لبعث العلومِ[٢٠]   فكوَّنت عِلمًا جديدًا مُجادَا
وساءلتَ حتى قصيَّ الرُّجوم   وأنطقتَ حتى الضنين الجمادا
وأمتعتَ مستأهلاتِ الفهوم   بما قد منحت غذاءً وزادا
وألهمتنا كيف يسمو الشعورُ   بمن عزَّ أمته والبلادا[٢١]
وكيف تفنُّنُ ربِّ النبوغ   فيخلق حتى القديمَ المُعَادا[٢٢]
يقلِّبُ طرفًا بهذا الوجود   وينقل عنه العزيزَ المرادا
فخطَّ عن الحقِّ إعجازَه   ومنه استمدَّ السنيَّ المدادا
كذلك في فحصه للأنام   كثارًا بِمَمْثَلِهِ أو فُرَادَى
وحقكَ ما عاش قبلًا رسولٌ   يدانيك فيما بحثتَ اجتهادَا
فمن خبرةٍ بشعور الورى   تجسمهُ صورةً أو جهادًا
إلى نكهةٍ من مزاح الحياة   بسطنا لها ووهبنا الفؤادَا!
إلى قوةٍ في اختراعِ البيانِ   شهيًّا كأنا نذوق الشِّهادَا[٢٣]
إلى حيلة في ابتكار المعاني   وخِصبٍ يزيد العقول اعتدادا
إلى قدرةٍ في اقتباس سريع[٢٤]   فنغنم منك السَّريعَ الحصادا
إلى صحَّةِ الْحُكْم حتى كأنَّا   نشاهد فيك الوحيد الرشادا
مواهبُ فكر بعيدِ المنال   وَهَبْنَ الجمالَ منالًا وآدا[٢٥]
وحرَّرْن أسرى الظلام البهيم[٢٦]   وكنَّ لركن البيان العمادا
فلله شعرك ملءَ النشيد   تناجي صديقك حتى تهادَى![٢٧]
عذوبتُه كنعيم الخلود   ورقتهُ تستهيمُ المنادَى
ولله أمثالهُ رائعات   أفذْنَ الذي بالشعاع استفادا
أقاصيصُه ثُمَّ تمثيلُهُ   تجسَّمْنَ حتى غدوْنَ اعتقادا!
بدأت الحياة بها مازحًا[٢٨]   وكم كان جدًّا فلذَّ انتقادَا
وصاحبت (مارلو)[٢٩] بها هاديًا   فجازيته بالنُّبوغِ الودادا!
يعيش المعلمُ في علمهِ   إذا المتعلمُ أوفى وزادا
ويخلد قربك في الفاتحين   إمامٌ حباكَ ابتداعًا وقادَا

ولما انتقلت لعهد (الدرام) وألبستنا للشجون الحدادا
عرفنا الحياةَ بألوانها فصاحب فيها الضياء السَّوادا[٣٠]
وعشنا نؤاسيك طورًا وطورًا نبادلك الائتناسَ ارتيادَا
شخوصُك لمَّا نزلْ للحديث تحدَّث عنك العلى والعبادَا!
وأسفارُ وحيك مثل الكواكب عزت ولكن بُلِغن ارتيادا![٣١]
فنسمو إليها سموَّ الخيال لنلقى الحقيقة تزهو اتِّقادَا!
ونرتدُّ عن رصدِ شتى النجوم وما نرتضي عن حجاك ارتدادا!

* * *

فيا (شكسبيرُ) إذا ما احتفلنا بعيدك دَيْنًا لمن قد أفادَا
فمن مجدنا أن جُمعنا لِنَحْظى بمعنى البقاء ونلقى اعتضادا!
وهيهات غيرك تُلْفَى لديه خلائقهُ يحتشدن احتشادا
فهذا (فلستاف)[٣٢] جمُّ المزاح وذلك (هملتُ) يبغي انفرادا
و(رميو) يغني بشعر الهوى و(جلييتُ) تصبو إليه اتحادا
و(قيصرُ) في جنده لم يمت يرى في رثائك عمرًا مُعَادا!
وهذا (عطيلٌ) وجَمْعُ (الملوك) نَسُوا في حماك الخطوب الشدادا
وشتَّى الرجالِ وشتَّى النساء لمن بالخلودِ على الناس جادا
جُمعنا وجاءوا سواء فما قنعنا هوًى أو خشيتَ النفادا[٣٣]
وقد رُمْتَ قبرك بيتَ السكون[٣٤] وما كنتَ إلا رقيبًا تُنادَى!
فما غبتَ عنَّا وما متَّ صدقًا ولو متَّ أعظِمْ بهذا مَعادا![٣٥]

هوامش

(١) شأوت: سبقت.

(٢) إشارة إلى تعمق شكسبير في الدراسة النفسية وتجلي النفوس له وتجليه لها؛ مما أغناه عن الحديث عنها، وفي لفظ «الستار» تورية تمثيلية أيضًا كما لا يخفى.

(٣) إشارة إلى إضاءته إياها بنور عبقريته الباحث.

(٤) أي فخارها لعنايته بها.

(٥) من الحقائق المعروفة أنه لا يوجد أدب عام خلا الكتب المقدسة (التوراة والإنجيل والقرآن) والمؤلفات الأثرية قد اشتهر شهرة مؤلفات شكسبير التي صارت منقولة إلى جميع اللغات الحية، إن لم تكن كلها فجلها. وقراء العربية يعلمون فضل شكسبير منذ أواخر القرن الماضي؛ حيث عني بتعريب خيرة قصصه المرحوم الشيخ نجيب الحداد، وعني بإظهارها على المَمْثَل المرحوم الشيخ سلامة حجازي، وكان يُقبِل عليها الجمهور أيما إقبال. وقد مرت على وفاة شكسبير نيف وثلاثة قرون ولا يزال صيته في الذيوع، وقدره موضع الإجلال العام في عالم الثقافة والمدنية، حتى إن الحرب العالمية لم تحل دون الاحتفال الفخم بالذكرى المئوية الثالثة على وفاته في مايو سنة ١٩١٦م في أنحاء المعمورة، ولشكسبير شهرة عظيمة حتى في ألمانيا، بل يجوز لنا أن نقول: إن ألمانيا أسبق الممالك حفاوة بشكسبير بعد وطنه إنجلترا.

(٦) ولد شكسبير في مدينة سترانفورد الواقعة على نهر الأفون في مقاطعة واركشير بإنجلترا.

(٧) نشأ شكسبير في عهد الثورة الفكرية في إنجلترا — عهد اليصابات الذهبي، وقد أخذت الأذهان تتحرر من التقاليد العتيقة التي كانت ميراث القرون الوسطى، وبدأ تكوين أوروبا الحديثة.

(٨) الأوار: الحرارة.

(٩) البوار: الهلاك والتلف.

(١٠) كونًا مدارًا: أي مطرد السير.

(١١) لقد صدق الدكتور هرفورد (C. H. Herford) في تقريره أن شعر شكسبير يمثِّل «أغنى وأقوى ما أبدعه شاعر من شعراء الإنجليزية، وكيفما نظرنا إليه فليس شعره بالنصيب الصغير من حياته.» ومثله صدق جون درايدن "John Dryden" الشاعر الناقد الكبير في اعتباره شعر شكسبير المرآة الكاملة الوفية للحياة وللنفس الإنسانية.

(١٢) عز: قوي ونصر. إشارة إلى أن الفخر الوطني بشكسبير ضائع، فما كان شكسبير مِلكًا لوطنه ولا رهنًا لأرضه، بل هو شاعر الكون بأسره، وآثاره إنما هي كتاب الدهر!

(١٣) إشارة إلى مبدعاته المتنوعة التي انتفعت بها طبقات مختلفة من الناس.

(١٤) العفاة: طلاب الفضل.

(١٥) إشارة إلى حسن سيرة شكسبير، فقد كان كما قال السير (سدني لي Sidney Lee) مُحبًّا لوطنه ذا عقيدة مطمئنة إلى مستقبلها، فكان يتجلى هذا الشعور النبيل في

أدبه، وكان كذلك رجلًا حكيمًا شريف السمعة، فزاد هذا من تقديره؛ لأنه دل على أن آثاره نتيجة الإيمان بنفع ما ينشئ، وليست أمثلة من العبث والرياء كما عُرف عن كثيرين من الأدباء في أمم شتى؛ حيث ينظمون ويؤلفون تأليفًا صناعيًّا ويتظاهرون بغير حقائقهم؛ اقتناصًا لالتفات الجمهور إليهم، وكسبًا لعنايته بهم دون استحقاق.

(١٦) الحطام: متاع الدنيا.

(١٧) أغنيت: أسديت الغنى.

(١٨) أغنيت عنه: بمعنى كفيت، إشارة إلى الاكتفاء بإنشائه المجسم المغُني عن التمثيل، وإن كان تمثيله في ذاته ثروة أدبية عظيمة. وقد أجمع النقاد تقريبًا على أن شكسبير «من أعظم رجال التاريخ لتعمقه وتفننه في تصوير الأحوال النفسية في رواياته» كما قالت صحيفة (الهدى) العربية؛ فقد عد أبطاله وأشخاص رواياته أقرب إلى الحياة من الأحياء أنفسهم! وقيل أيضًا أن شكسبير مرآة الإنسانية، ومع أن أغلب مواضيع رواياته إن لم نقل كلها مأخوذة عن مصادر أجنبية — منها إفرنسية ومنها إيطالية ومنها لاتينية وغير ذلك — فقد فاق في تفننه وتصويره أحوال أبطاله وتكييف وضعياتهم جميع من تَقدَّمه، ولكل من مشاهير أبطال شكسبير صفة راسخة في ذهن القارئ لا ينساها؛ (فتاجر البندقية) أحسن مثال للؤم النفس، و(عطيل) مثال الغيرة الحمقاء العمياء، و(الملك لير) مثال التعاسة، و(ماكبث) مثال الغدر، و(جون فلستاف) مثال الهزل والمجون. ومن أقوال جون دريدان: إن شخوص شكسبير لا يراها القارئ إلا ويحس بها أيضًا من قوة تصويره بل وخلقه لها! ومثل هذا التعبير سبقت به دوقة نيوكاسل (The Duchess of Newcastle) وكانت ناقدة بارعة، ولا زلنا نؤمن برأيها حتى اليوم.

(١٩) من صفات شكسبير الأدبية أنه كثيرًا ما كان يتبع المذهب الواقعي في تحليله، ويفي الوفاء الكلي في تصويره أشخاصه وفيما وضعه على ألسنتهم من أقوال تنطبق على صفاتهم الخلقية، على أنه لم ينم عن رأيه الشخصي فيما كتب، ومن الصعب جدًّا تحديد رأيه الشخصي في موقف ما؛ لأنه اكتفى بالتصوير الدقيق وشرح الشخصيات التي عرضها شرحًا تحليليًّا.

(٢٠) هو عصر الريناسنس أو النهضة العلمية الذي بذرت بذوره قبل ذلك وأدركه شكسبير؛ فتذوق معاني الحرية والقوة والخيال الفني بعد العبودية التي كانت قاهرة للإنسان في القرون الوسطى، وحيث أخذ الشعور القومي يتأصل لا سيما بعد هزيمة الأسطول الأسباني.

(٢١) لم يكذب من قال: إن روح شكسبير هي التي كونت عظماء الرجال الذين بنوا الإمبراطورية الإنجليزية، فقد كان وطنيًّا عظيمًا مخلصًا.

(٢٢) إشارة إلى مقدرته في تجديد التصوير للتاريخ المنسي.

(٢٣) الشهاد: العسل. وأول من تحدث من النقاد بحلاوة شكسبير اللفظية والمعنوية هو (فرنسيس ميرز Francis Meres) في نقده لشعراء عصره.

(٢٤) إشارة إلى ما امتاز به شكسبير من القدرة على الاستفادة والاقتباس من مطالعاته التي كان من آثارها قصة «تاجر البندقية» وغيرها.

(٢٥) الآد: القوة. وفي هذا البيت إشارة إلى شغف الشاعر الجليل بالجمال، وتقديره للطبيعة وللإنسانية، كما نوه بذلك مؤرخوه.

(٢٦) إشارة إلى عهد الظلام الفكري الذي شمل أوربا قبل الريناسنس.

(٢٧) إشارة إلى الأناشيد الودية الجميلة (السونيتات) التي نظمها شكسبير وأهداها (على الأرجح) إلى صديقه العزيز وناصره (ايرل سوثامبتن Earl of Southampton).

(٢٨) كانت أولى قصصه التمثيلية مجموع الفكاهة الإنجليزية الرائعة، مثل (مهزلة الأخطاء Comedy Of Errors) ونبذ مختلفة من قصص أخرى.

(٢٩) يعد (كرستوفر مارلو Christopher Marlowe) — الذي عاش من سنة ١٥٦٤ إلى سنة ١٥٩٣ أعظم أديب نابغة في العصر الإليصاباتي بعد شكسبير، الذي يُعد بمثابة تلميذ لمارلو، وإن تفوق شكسبير نهائيًّا بقوته الذهنية وبمجموع آثاره العظيمة. وقد نبغ مارلو في الدرام، وفي الشعر الليريكي أو الوجداني.

(٣٠) المستنتج أن شكسبير في آخر عهده بالتأليف كان أميل إلى السوداء في نظرته إلى الحياة ودراستها والتعبير عنها، وإن لم يصرح بذلك صراحة ظاهرة.

(٣١) مناسبة هذا التشبيه الشعري في الوقت الحاضر التحدث عن ارتياد القمر ومخاطبة المريخ …

(٣٢) لعل (فلستاف) أكثر شخوص شكسبير إيناسًا من وجوه كثيرة، وأحبها إلى قراء شكسبير بالإجمال، وهذا سبب تقديمه في هذه الأمثلة. على أن شخوص شكسبير الشهيرة كثيرة جدًّا وتكاد كلها تقاسمنا المحبة!

(٣٣) أي نفاد الهوى لك.

(٣٤) إشارة إلى وصية شكسبير بتركه وشأنه في سكون وأمان بقبره.

(٣٥) المعاد: البعث. والمناسبة لهذا البيت الختامي أن هذا الاحتفال العظيم موعده ذكرى ميلاده.